الإيمان أساس الأمن

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات
إسلامية
16

الإيمان أساس الأمن

الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي

وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية
بجامعة دمشق

دار المكتبي

الطبعة الأولى
1418 هـ - 1998 م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الإيمان أكمل منهج في الوجود ، وأسمى نشيد في الحياة ، وإنه جوهرة ثمينة ، تمثل سر البقاء البشري ، وأغلى ما يمتلكه الإنسان ، لأنها تسري في دمه وكيانه ، وتتناغم مع روحه وقلبه .

والإيمان شجرة باسقة يركن إليها صاحبها ، ويتفيأ ظلالها ، ويجني ثمارها ، ويجد عندها الأمن والأمان ، والراحة والطمأنينة ، والسعادة والنشوة واللذة .

والأمن هدف إنساني عام ، وأمل بشري عظيم ، يتطلع إليه الأفراد ، وتترنم به الجماعات ، وتسعى لتأمينه والحفاظ عليه ، بكل غال ورخيص .

ولكن بعض الناس يظنون أن الإيمان مسألة نظرية ، وفلسفة محضة ، وفكرة تقبع في زوايا الفكر ، وتحبس في

داخل النفس ، ولا علاقة له بشؤون الحياة ، ولا تأثير له في الواقع والمجتمع .

لذلك أردت أن أتناول هذا الموضوع لتوضيح الرؤية فيه ، وبيان أهمية الصلة والارتباط بين الإيمان والأمن ، وأن الإيمان هو الأساس الحقيقي للأمن ، والغذاء النافع له ، والوسيلة الفعالة في وجوده ، ثم في الحفاظ عليه .

خطة البحث :

وسوف أعرض هذا البحث في ثلاثة أقسام :

القسم الأول : في الإيمان ، ويحتوي على الأمور التالية :

تعريف الإيمان ، حقيقة الإيمان ، أهمية الإيمان ، الإيمان والعمل .

القسم الثاني : في الأمن ، ويتضمن النقاط التالية :

تعريف الأمن ، أهمية الأمن ، وسائل الأمن ، موقف الشريعة من الأمن .

القسم الثالث : في أثر الإيمان على الأمن ، ويتناول الفقرات التالية :

ارتباط الأمن بالإيمان ، أثر الإيمان على الأمن النفسي ، أثر الإيمان علىٰ الأمن الاجتماعي ، الإيمان غذاء للأمن ، أثر الإيمان في تطبيق الأحكام وحفظ النظام ، أثر الإيمان على الأمن العالمي .

الخاتمة : وفيها خلاصة البحث .

ونسأل الله التوفيق والسداد ، وأن يرزقنا الإيمان الكامل ، وأن يحفظ علينا الأمن وسائر النعم .

* * *

القسم الأول

في الإيمان

الإيمان هبة إلهية فطر اللهُ الإنسان عليها ، تسكن في القلب كالبذرة الطيبة التي تنبت في الأرض الخصبة ، وتستوي على سوقها ، وتعطي إنتاجاً وفيراً ، وهو كالغرسة السليمة التي توضع في التربة الصالحة ، فتورق وتزهر ، ثم تنتج ثمراً نافعاً .

والإيمان كلمة طيبة ، كشجرة طيبة ، أصلها ثابت في القلب ، وشذاها يفوح في الحياة ، وثمارها تغذي الجسم والروح ، وأغصانها دانية على الأعضاء والجوارح ، تؤتي أُكُلَها كل حين ، بإذن ربها ، إذا توفرت لها الصيانة والحفظ ، وتمت لها الحماية من الأعداء ، وسلمت من الأعراض والأوبئة والأمراض .

فما الإيمان ؟ وما حقيقته ؟ وما أهميته في الحياة ؟ وما صلته بالأمن ؟

تعريف الإيمان :

الإيمان في اللغة : هو التصديق .

ويستعمل الإيمان تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة : ٦٩] ، فيوصف بالإيمان كل من دخل في شريعته ، وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ، لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ [الحديد : ١٩] ، ويقال لكل واحد من الاعتقاد ، والقول الصدق ، والعمل الصالح : إيمان[1] .

وجاء الإيمان في القرآن الكريم على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الإقرار باللسان ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ

---

(١) الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٦ .

﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [المنافقون : ٣] ، أي آمنوا باللسان ، وكفروا بالجنان .

الثاني : بمعنى التصديق في السر والإعلان ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة : ٧]

الثالث : بمعنى التوحيد ، وكلمة الإيمان ، كقوله تعالى : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة : ٥] ، أي كلمة التوحيد .

الرابع : بمعنى الصلاة ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

الخامس : إيمان في ضمن شرك المشركين أولي الطغيان ، لقوله تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، والمراد من الإيمان في ضمن الشرك هو ما يرد على لسانهم في قوله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1] [الزخرف : ٨٧] .

وقد يطلق الإيمان على الاعتقاد الباطل ، ويذكره الله

---

(١) الفيروزآبادي ، بصائر ذوي التمييز ٢/ ١٥١ .

تعالى في كتابه على سبيل الذم لأصحابه ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١] ، وأنه من المجاز اللغوي للتبكيت والسخرية والتهديد ، كقوله تعالى : ﴿ مَن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٦] ، وقد نبه العلامة الراغب الأصفهاني لذلك فقال : « إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن . . . ، وأنه قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن ، إذ ليس من شأن القلب ما لم يكن مطبوعاً عليه أن يطمئن إلى الباطل . . ، وهكذا كما يقال : إيمانه الكفر ، وتحيته الضرب ، ونحو ذلك »[1] .

وبيَّن رسول الله ﷺ أصل الإيمان في الشرع في حديث جبريل عليه السلام ، حين جاء يعلِّم الصحابة دينهم ، فقال : « يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ . . . » ، ثم قال : « فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال :

---

(١) الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٦ .

صدقت » الحديث[1] ، وروى الإمام البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس ، فأتاه رجل فقال : يارسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورُسُله ، وتُؤْمِنَ بالبَعْث الآخر . . . »[2] .

وقال معظم أهل السنة : إن الإيمان في لسان الشرع هو : إقرار باللسان ، وتصديق بالقلب ، وعمل بالجوارح ، وعبَّر عنه السلف بأنه : إعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان[3] ، ولخَّصه الإمام البخاري فقال : وهو قول وفعل ، وبيَّن ذلك الحافظ ابن حجر فقال : فالمراد بالعمل ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ، ليدخل الاعتقاد والعبادات[4] . وهذا ما سنعود إليه في ارتباط الإيمان بالعمل .

---

(١) رواه مسلم والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (مسلم مع النووي ١/ ١٥٧ ، الترمذي مع التحفة ٧/ ٣٤٤) .
(٢) البخاري ١/ ٢٧ ، ومسلم ١/ ١٦٢ ، وهذا لفظه .
(٣) النووي على مسلم ١/ ١٤٦ ، المباركفوري ٧/ ٣٣٣ ، ياسين ، الإيمان ص ١١٠ .
(٤) البخاري ١/ ١١ ، وفتح الباري ١/ ٤٦ .

ويظهر الارتباط بين المعنى اللغوي للإيمان ومعناه الشرعي : أن التصديق بالقلب يكمل بالطاعات كلها ، فكلما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل ، وتصديقه أوثق ، وأن المعنى الذي يستحق به الإنسان أن يمدح بالإيمان ، وأن تكون ولايته مع المؤمنين ، وولاؤه لهم هو إتيانه بالأمور الثلاثة : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح ، وأن التصديق هو أول منازل الإيمان ويوجب للمصدق الدخول فيه ، ولكنه لا يستكمل منازله ، ولا يسمى مؤمناً مطلقاً[1] ، كما سنرى في حقيقة الإيمان .

حقيقة الإيمان :

إن الإيمان الصحيح ليس مجرد دلمة ينطق بها اللسان ، ولا جملة تتردد على الأسماع ، وإنما مظلة للإنسان في هذا الكون ، وفضيلة في الحياة ، ومبعث النور والضياء ، ومصدر الخير والسعادة ، ومنهج الله في أرضه ، وهدية السماء للبشر .

---

(١) النووي على مسلم ١/١٤٦ ، ١٤٧ .

وإن الإيمان ليس فلسفة نظرية خيالية ، ولا فكرة حبيسة في العقل ، وإنما حبل وثيق يربط القلب بخالقه ، ونهر متدفق يمد الجسم والأطراف والروح بغذاء إلهي ، ودواء شاف يمنح الإنسان طمأنينة وسعادة ، وراحة وحلاوة ، ولذة ومتعة .

وهذا ما بيَّنه المعلم الأول ، والمربي الحكيم ، والنبي الملهم ، والرسول الموحى إليه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ذاقَ طعمَ الإيمان مَنْ رَضِيَ بالله تعالى ربًّا ، وبالإسلامِ ديناً ، وبمحمد رسُولاً »[1] ، ومعنى رضيت بالشيء قَنَعت بالشيء وقنعت به ، واكتفيت به ، ولم أطلب معه غيره .

ومعنى الحديث أن المؤمن لا يطلب غير الله تعالى ، ولا يسعى في غير طريق الإسلام ، ولا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ ، ومتى اتصف بهذه الصفات فقد تحقق فيه الإيمان ، وخلصت حلاوته إلى قلبه ، وذاق طعمه .

قال القاضي عياض رحمه الله : « معنى الحديث صح

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي ، (مسلم مع النووي ٢/ ٢ ، أحمد ١/ ٢٠٨ ، الترمذي مع التحفة ٧/ ٣٧٢) .

إيمانه ، واطمأنت نفسه ، وخامر باطنه ، لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ، ونفاذ بصيرته ، ومخالطة بشاشة قلبه ، لأن من رضي أمراً سهل عليه ، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعات الله تعالى ، ولذت له »[1] .

ويشرح رسول الله ﷺ حقيقة الإيمان في حديث آخر ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حلاوةَ الإيمان : أن يكونَ الله ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سِواهُما ، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله ، وأن يكرهَ أن يعودَ في الكفر ـ بعد أن أنقذَهُ الله منه ـ كما يكرهُ أن يُقذفَ في النَّار »[2] ، ومن هنا تتأكد حقيقة الإيمان ، وتظهر حلاوته بأن يستلذ المؤمن بالطاعات ويرغب فيها ، ويُؤْثرها على عرض الدنيا ومتاعها ، ويؤثر حب الله ورسوله ، ورضاهما على أهواء النفس وغيرها ، ويجعل ميزان الأعمال ، ومعيار العلاقات والتصرفات والتعامل في رضا الله تعالى ، ويأنف من الكفر

---

(١) النووي على مسلم ٢/ ٢ ، نقلاً عن القاضي في إكمال المعلم .

(٢) هذا الحديث رواه البخاري ١/ ١٤ ، ومسلم ٢/ ١٣ ، والترمذي ٧/ ٣٧٣ ، عن أنس رضي الله عنه .

والشرك ، لأنهما أساس الفساد والشر .

وتنعكس حقيقة الإيمان على النفس لتقنع برضا الله ، وتطمئن بآثاره ، وتتجه في طريقه ، لعمل الخير والالتزام به ، قال رجل : « يارسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : إذا سرَّتْكَ حسَنَتُكَ ، وساءَتْكَ سيِّئَتُكَ ، فأنت مؤمنٌ ، فقال : يارسول الله ، فما الإثم ؟ قال : إذا حاكَ في صدرِكَ شيءٌ فدَعْه »[1] ، ومن هنا يظهر بجلاء صلة الإيمان بالتطبيق والعمل والسلوك .

الإيمان والعمل :

إن الإيمان الصحيح هو الذي ينعكس على سلوك الإنسان ، ويتم ترجمته إلى التطبيق والحياة ، وأن الإيمان نفسه يُطلق على العمل ، قال النووي : « وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق ، ودلائله من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تشهد »[2] ، وقال الإمام البخاري : « باب الإيمان . . . وهو قول وفعل . . . والحب في الله

---

(١) هذا الحديث رواه الإمام أحمد ٥/ ٢٥٦ .

(٢) النووي على مسلم ١/ ١٤٩ .

والبغض في الله من الإيمان ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عديّ بن عديّ : إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، ثم عرض البخاري أبواب الإيمان ، ومنها باب أمور الإيمان ، الصلاة من الإيمان ، الزكاة من الإيمان ، الجهاد من الإيمان ، من الإيمان أن يُحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه ، حب الرسول ﷺ من الإيمان ، علامة الإيمان حب الأنصار ، تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ، الحياء من الإيمان ، من قال أن الإيمان هو العمل لقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٢] ، وقال عدد من أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٩٢] ، عن قول : لا إله إلا الله ، وقال : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات : ٦١] ، ثم روى البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سُئِلَ : أيُّ العملِ أفضلُ ؟ فقال : « إيمانٌ بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهادُ في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حجٌّ مبرورٌ » ، ثم تابع أبواب الإيمان : « قيام ليلة القدر من الإيمان ، الجهاد من الإيمان ، تطوع قيام رمضان من الإيمان ، صوم رمضان

إيماناً واحتساباً من الإيمان ، الصلاة من الإيمان ، أداء الخمس من الإيمان »[1] .

وقال الزهري في قوله تعالى : ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات : ١٤] ، قال : الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل ، وقال الخطّابي في حديث « الإيمان بِضْعٌ وستُّون شُعْبَةً »[2] : في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شُعَب وأجزاء ، له أدنى وأعلى ، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضي جميع شعبه ، وتستوفي جميع أجزائه ، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء. . ، وقال الأصبهاني : إن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديق العمل مواجب

---

(١) البخاري ١/ ١١ وما بعدها ، ١٨ وما بعدها ، وروى الحديث مسلم ٢/ ٧٢ ، وذكر مسلم أبواب الإيمان في صحيحه ٢/ ٣ وما بعدها ، ومنها : بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان ، وكون النهي عن المنكر من الإيمان ، ونقصان الإيمان بالمعاصي ونقصان الإيمان بنقص الطاعات ، وبيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال. . .

(٢) رواه البخاري ١/ ١٣ ، ١٧ ، ومسلم ٢/ ٣ .

الإيمان ، هل يسمى مؤمناً مطلقاً أم لا ؟ والمختار عندنا أنه لا يُسمّى به. . ، لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا الإطلاق . وقال ابن بطال المالكي : مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، . . . فإن قيل الإيمان في اللغة التصديق ، فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها »[1] .

ثم قال النووي : « فالإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح. . . ، وإذا أقر بالله تعالى وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمناً بالإطلاق ، وإن كان في كلام العرب يسمى مؤمناً بالتصديق ، فذلك غير مستحق في كلام الله تعالى ، لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٢ـ٤] .

---

(١) النووي على مسلم ١/ ١٤٥ ، ١٤٦ .

ثم نقل النووي قول ابن بطال : « التصديق هو أول منازل الإيمان ، ويوجب للمصدق الدخول فيه ، ولا يوجب له استكمال منازله ، ولا يُسمّى مؤمناً مطلقاً ، هذا مذهب أهل السنة أن الإيمان قول وعمل . . . وهو المنقول عن أرباب العلم والسنة الذين كانوا مصابيح الهدى ، وأئمة الدين من أهل الحجاز والعراق والشام وغيرهم » ، ثم نقل النووي قول ابن الصلاح في حديث جبريل في السؤال عن الإيمان والإسلام ، فقال : « ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فُسِّر به الإيمان في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ، ومقومات ومتممات وحافظات له . . . ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو بدَّل فريضة ، لأن اسم الشيء مطلقاً يقع على الكامل منه ، ولا يستعمل في الناقص ظاهراً إلا بقيد ، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ : « لا يَسْرِقُ السَّارِقُ حين يَسْرِقُ وهو مؤمنٌ »[1] وسنعرض لهذا الحديث .

ونخلص من ذلك أن الإيمان مرتبط بالعمل ، وأنه يسري

---

(١) النووي على مسلم ١/١٤٧ ، ١٤٨ . =

في الحياة ، ويلازم المرء في جميع حركاته وسكناته ، ويرافقه في سره وجهره ، وفي قوله وفعله ، وأن الإيمان هو المحرك الحقيقي لجميع تصرفات الإنسان إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، والإيمان هو الموجه الداعي ، والمرشد الدائم ، والمذكر اليقظ ، والناصح الأمين لأعمال البشر من جهتين :

الجهة الأولى : الناحية الإيجابية في الحياة ، والإقدام على الأعمال ، فيظهر الإيمان بأن يدفع صاحبه لكل خير ، ويدعوه لكل صلاح ، ويأمره بكل معروف ، ويحمله على أداء جميع الطاعات والعبادات ، والوقوف على الحق في التعامل ، والتحلي بأعلى الفضائل والمُثُل الأخلاقية ، والأدلة على ذلك كثيرة ، نذكر بعضها :

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ ، ومَنْ كان يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ ، ومَنْ كان يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحبَّ

---

(١) رواه مسلم (٢/ ١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

لأخيه ، أو قال : لجارِهِ ، ما يُحبُّ لنفسِهِ »[1] ، وذلك بأن يحب له الطاعات والخير كما يحب لنفسه ، وأن يحب له حصول مثل ذلك .

وأكد رسول الله ﷺ أن الإيمان مرتبط بأركان الإسلام وفرائضه في الشهادة والعبادات ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ ، فقال لهم : آمركُم بأربعٍ : الإيمان بالله وحده ، وقال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسولُ الله ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، وصيامُ رمضان ، وأن تُعطوا من المَغْنَمِ الخُمس . . . » الحديث[2] .

وروى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البَجَلي حديثاً مطولاً ، وفيه : « ما الإيمانُ ؟ قال : تشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسولُ الله ، وتقيمُ الصَّلاةَ ، وتُؤْتي الزكاةَ ،

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٤) ومسلم (٢/ ١٦) عن أنس ، وأحمد والترمذي والنسائي ، فيض القدير ٦/ ٤٣٣ .

(٢) هذا الحديث رواه البخاري ١/ ٢٩ ، ومسلم ١/ ١٨٠ ، ١٨٨ ، والترمذي ٧/ ٣٥٠ ، ٣٥٢ وغيرهم .

وتصومُ رمضانَ ، وتحجُّ البيتَ ، قال : قد أقررتُ »[1]

الجهة الثانية : الناحية السلبية التي تَرْدع الإنسان عن الشر ، وتحجزه عن الانحراف ، وتكون رقيباً عليه من الشذوذ ، ومحذِّراً له من الإجرام ، ومنبهاً من كل سوء ، ونذيراً من كل معصية .

والتربية الإيمانية للمؤمن ذات تأثير فعال في هذا المجال ، وهي أجدى الوسائل ، وأنفعُ الأدوية قطعاً ويقيناً في قطع دابر الإجرام والانحراف والشذوذ ، أو التخفيف من ذلك إلى أدنى الدرجات ، وهذا ما صرح به القرآن الكريم في بيان مشروعية القصاص من القاتل ، وأن الهدف والغاية هو الحياة الرغيدة للبشرية ، فقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٩] والأمثلة والأدلة على ذلك كثيرة ، نقتطف بعضاً منها :

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « إنَّ رسول الله ﷺ قال : لا يَزْني الزَّاني حين يَزْني وهو مؤمنٌ ، ولا يَسْرِقُ السَّارقُ حين يَسْرِقُ وهو مؤمنٌ ، ولا يشربُ الخَمْرَ حين يشربُها وهو مؤمنٌ ، ولا يَنْهَبُ نُهْبَةً ذاتَ

---

(١) أحمد ٤/٣٥٩ .

شَرَفٍ ، يرفعُ النَّاسُ إليه فيها أبصارَهُم حين يَنْتَهِبُها ، وهو مؤمنٌ » ، وزاد مسلم : « ولا يغِلُّ أحدُكم حينَ يَغِلُّ وهو مؤمنٌ ، فإيَّاكُم إيَّاكُم » ، وفي رواية البخاري عن ابن عباس : « ولا يقتُلُ وهو مؤمنٌ »[1] .

ومعناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان ، من إطلاق نفي الشيء ويُراد منه نفي كماله ، لأنه لم يعمل بموجب الإيمان ليستحق هذا الإطلاق ، وقال الطبري : معناه ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به أولياء الله المؤمنين ، ويستحق اسم الذم فيقال سارق وزانٍ وفاجر وفاسق ، وقال ابن عباس : معناه يُنزع منه نور الإيمان في الزنا ، وقال المُهَلَّب : يُنزع منه بصيرتُه في طاعة الله تعالى[2] .

ونقل النووي عن القاضي عياض رحمه الله أنه قال : « أشار بعض العلماء إلى أن ما في الحديث تنبيه على جميع أنواع المعاصي والتحذير منها ، فنبه بالزنا على جميع

---

(١) هذا الحديث رواه البخاري ٢/ ٨٧٥ ، ومسلم ٢/ ٤١ ، ٤٥ ، والترمذي ٧/ ٣٧٤ ، وأحمد ٢/ ٣٤٣ وغيرهم .

(٢) النووي على مسلم ١/ ١٤٦ ، ٢/ ٤٢ ، البخاري ٦/ ٢٤٨٦ كتاب الحدود .

الشهوات ، وبالسرقة على الرغبة في الدنيا والحرص على الحرام ، وبالخمر على جميع ما يصدُّ عن الله تعالى ، ويوجب الغفلة عن حقوقه ، وبالانتهاب الموصوف عن الاستخفاف بعباد الله وترك توقيرهم والحياء منهم ، وجمع الدنيا من غير وجهها »[1] .

وروى الترمذي وأبو داود عن أبي هريرة عن النَّبي ﷺ قال : « إذا زنى العبدُ خرجَ منه الإيمان ، فكان فوقَ رأسه كالظُّلة ، فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان »[2] أي إذا شرع المؤمن في الزنا خرج منه نور الإيمان وكماله ، لأن إيمانه لم يمنعه ، وهو من باب التغليظ في الوعيد ، والزجر والتهديد ، تعييراً له لينتهي عما صنع ، واعتباراً للسامعين ، وتنبيهاً على أن الزنا من شيم أهل الكفر وأعمالهم ، فالجمع بينه وبين الإيمان كالجمع بين المتنافيين ، وفيه إيماء بأن المؤمن حين اشتغاله بالمعصية يعتبر كالفاقد للإيمان ، فإذا فرغ من معصيته عاد إليه الإيمان .[3] .

---

(١) النووي ٢/ ٤٥ .
(٢) الترمذي ٧/ ٣٧٦ ، أبو داود ٢/ ٥٢٤ .
(٣) المباركفوري ، تحفة الأحوذي ٧/ ٣٧٦ .

وروى البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « واللهِ لا يُؤْمِنُ ، واللهِ لا يُؤْمِنُ ، واللهِ لا يُؤْمِنُ ، قيل : ومَنْ يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمَنُ جارُهُ بوائِقَهُ »[1] ، البوائق جمع بائقة وهي الغائلة والداهية والفتك ، وفي رواية مسلم : « لا يدخل الجنة » وذلك إذا كان يستحلُّ الإيذاء مع علمه بتحريمه فهو كافر ، أو لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فُتِّحَتْ أبوابها لهم ، بل يؤخر ليجازى على عمله ، وهذا تأكيد على صلة الإيمان بالأخلاق والسلوك والتعامل ، وأنه حارس أمين لصاحبه عن الخروج عن الحق والعدل[2] .

وباختصار فإن الله تعالى يُحبُّ أن يحصن إيمان عباده بالابتلاء والاختبار ، بالخير والشر ، والمصائب والنوائب ، وفي السراء والضراء ، فالمؤمن يزداد إيماناً ، ومن يدعي الإيمان ، أو يردده على شفتيه ، أو يتاجر به فإنه يوضع على

---

(١) هذا الحديث رواه البخاري وهذا لفظه (٥/ ٢٢٤٠ رقم ٥٦٧٠) ، ومسلم (١٨/٢ رقم ٤٧) ، وأحمد (٢٨٨/٢ ، ٣١/٤ ، ٣٨٥/٦) .

(٢) النووي ١٧/٢ .

المحك ، وتكشف خباياه ، قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢ـ٣] .

أهمية الإيمان :

ويظهر مما سبق أهمية الإيمان ، وأنه الأساس في بناء الإسلام ، وفي تكوين شخصية المسلم بأفكاره وقيمه ، ومبادئه وأحكامه ، وفي سلوكه وأعماله ، وأن تعاليم الإسلام تبنى على الإيمان ، فإذا انهار الإيمان زالت معه الأسوار التي تحيط الفرد والمجتمع بالرعاية والحفظ ، وإذا تشوَّه الإيمان ، أو أصابته شائبة فقد تعطَّل جانب أساسي في الحياة ، وهذا ما جعل القرآن الكريم يشدِّد على الإيمان كثيراً ، ويعتبره حداً فاصلاً لا يمكن تجاوزه أمام الله تعالى ، فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٠] ، وأن الأعمال الطيبة مهما كانت صالحة وخيِّرة فلا قيمة لها ، لأنها تكون في مهب الرياح إذا فقد الإيمان ، قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

لا عجب إذا رأينا أن معظم الآيات المكية كانت تركز على غرس الإيمان في النفوس ، واستمر الوحي بضع عشرة سنة متجهاً لتنمية الإيمان ، لأنه الأساس الحصين الذي تبنى عليه أحكام الشريعة ، وتصلح به حياة الأفراد والمجتمع .

وتكمن أهمية الإيمان في أصوله وأركانه ، وفي فروعه وجزئياته ، فالإنسان المؤمن يعتقد بوجود الله تعالى ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الخالق لهذا الكون وما فيه ، المدبر لشؤونه ، المتصرف في أحواله ، وكل شيء عنده بمقدار ، يرزق الخلق كما يشاء ، ولا رازق سواه ، وهو النافع ، الضار ، الرقيب على خلقه في كل خطراتهم وسكناتهم ، الغفور لذنوبهم ، الرحيم بهم ، قابل التوب ، شديد العقاب .

ويعتقد المؤمن بالملائكة ، وأنهم جُندُ الله تعالى ، يسبحون بحمده ، ويأتمرون بأمره ، ويرافقون البشر حفظاً ورعاية ، ورقابة وشهوداً ، ويكتبون أعمال الخلق ، ويؤدُّون وظائفهم كما يريدها ربُّ العالمين .

ويأتي الإيمان بالكتب السماوية على أنها نور وهداية ، أنزلها الله تعالى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ،

وتهدي البشر للتي هي أقوم ، وهي الدستور الإلهي والشرع السماوي .

والإيمان بالرسل أنهم أكمل الناس وأفضلهم ، اصطفاهم الله واختارهم ليكونوا مشاعل النور ، والقدوة الصالحة ، والأسوة المثلى ، والنماذج البشرية الصافية ، يُرشدون للحقِّ ، ويعملون به .

والإيمان باليوم الآخر أنه يوم العدالة المطلقة ، والجزاء الأوفى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران : ٣٠] ، وأن فيه النعيم الخالد بما لا عين رأت ، ولا أُذُنٌ سمعت ، ولا خطرَ على قلب بشر ، وفيه الحساب والعقاب ، والنار والجحيم التي سُعِّرَتْ للكافرين والظالمين والمنحرفين والباغين والفاسقين والمنافقين .

ويأتي الإيمان بالقضاء والقدر تسليماً لمشيئة الله تعالى ، ورضاً بما ينزل من خير أو شر ، وأن المقدور كائن ، وعلى الإنسان أن يسعى ويختار ضمن الدائرة التي وجد فيها ، والحدود المأمور بها .

ثم يأتي الإيمان روحاً تسري وراء الأخلاق الفاضلة ليبثَّ فيها الحياة العملية ، والإخلاص الكامل ، ويعطيها الفعالية

الحقيقية نظرياً وعملياً ، فكراً وتطبيقاً ، فالأخلاق بلا دين وإيمان عبثٌ وهراء وفلسفة .

ثم يمتد الإيمان في الأحكام العملية ، والشريعة المطبقة ليرافق حسن التنفيذ ، ويعطيها الغذاء الدائم في التطبيق ، ويسد فيها الثغرات ، ويغلق أمامها منافذ الضرر والشر والإيذاء ، ويفتح في جنباتها كوى التهوية ، ودواء الأمراض والشذوذ ، ويضمن السير فيها نحو الهدف المقصود ، وسوف نرى بعض هذه الآثار في القسم الثالث إن شاء الله .

* * *

القسم الثاني

في الأمن

ونعرض فيه تعريف الأمن لغة واصطلاحاً ، ثم نبين أهمية الأمن ، ونذكر أهم الوسائل المستخدمة لتوفير الأمن ، ثم نتناول موقف الشريعة الإسلامية من الأمن .

أولاً ـ تعريف الأمن لغة :

أمِنَ من باب فَهِمَ وسَلِمَ ، أمْناً وأماناً وأمانةً وأمنة ، فهو آمن ، بمعنى اطمأن ولم يَخَفْ ، وأمِنَ الإنسان ، وأمِن منه سلم منه ، وزناً ومعنى ، والأصل أن يستعمل الأمن في سكون القلب عن توقع الضُّر .

وأمِن البلد اطمأن به أهله ، فهو آمن وأمين ، وهو مأمون الغائلة أي ليس له غدر ولا مكر يخشى ، وأمن فلان فلاناً على

كـذا وثـق بـه ، واطمـأن إليـه ، وجعلـه أمينـاً ، والأمِـنُ : المستجير ليأمن على نفسه .

والأمن والأمان في الأصل مصادر ، ويستعمل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن ، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان .

ويقال آمن على وجهين ، أحدهما متعدياً بنفسه ، فيقال آمنته ، أي جعلت له الأمن ، ومنه قول الله تعالى عن نفسه : المؤمن ، والثاني غير متعد ، ومعناه صار ذا أمن .

ونخلص من ذلك ، إلى أن الأمن هو : طمأنينة النفس ، وسكون القلب ، وزوال الخوف ، وتوفير الثقة ، وإبعاد أسباب القلق والاضطراب[1] .

ثانياً ـ تعريف الأمن اصطلاحاً :

عرّف بعض الكتّاب الأمن بمعناه الاصطلاحي اليوم بأنه :

---

(١) الفيومي ، المصباح المنير ١/ ٣٣ ، الفيروزآبادي ، القاموس المحيـط ٤/ ١٩٧ ، الـرازي ، مختـار الصحـاح ص ٢٦ ، الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ص ٢٦ .

« الحالة التي تتوافر ، حين لا يقع في البلاد إخلال بالقانون ، سواء كان هذا الإخلال جريمة يعاقب عليها ، أو نشاطاً خطيراً ، يدعو إلى اتخاذ تدابير الوقاية والأمن ، لمنع هذا النشاط من أن يتحول إلى جريمة »[1] .

وقد توسع مفهوم الأمن ومدلولاته ، وتعرض له علماء النفس والاجتماع ، وفقهاء الشريعة ، وشراح القانون والتشريع ، ورجال الحكم والإدارة ، ومنظمو السياسات الداخلية والدولية ، وقضاة المحاكم المحلية والعالمية ، لأن الأمن يبدأ من النفس الإنسانية ، ويمتد إلى الأمن الاجتماعي ، ثم الأمن الداخلي للدولة ، والأمن الخارجي للشعب والأمة ، ويصل أخيراً إلى الأمن العالمي الذي تلتقي الدول من أجله ، وتتعاون لتحقيقه والوصول إليه ، وأنشأت له أعلى مجلس في منظمة الأمم المتحدة للحفاظ عليه ، وهو مجلس الأمن .

---

(١) راجع في هذا الخصوص : عبيد ، مبادىء علم الإجرام ، الفاضل ، المبادىء العامة في قانون العقوبات ، الفاضل ، الجرائم الواقعة على أمن الدولة .

ثالثاً ـ أهمية الأمن والحاجة إليه :

الأمن مطلب إنساني خالد ، وأمل يسعى إليه الناس ، ورجاء يطلبه البشر ، وهو أمر مهم في حياة الفرد والجماعة ، وفي قيام المجتمع والأمة ، وفي استقرار الحكم والدولة .

والأمن من ضروريات الحياة ، التي لا يمكن الاستمرار فيها بدونه ، ويحتاج إليه الإنسان كحاجته للطعام والشراب ، ويرجح الأمن على تناول الغذاء عند التعارض ، لأن الأمن يتعلق بمصير صاحبه ، ووجوده . ولذا قدم الله سبحانه وتعالى الخوف على الجوع ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾

[البقرة : ١٥٥]

إن هدف المسلم الأسمى ، الحوز على رضى الله سبحانه وتعالى ، الموصل إلى جنات النعيم ، كما أن الأمن هدف الناس ، وغايتهم المرجوة ، ومن أجله وجدت الدول أصلاً ، وبسببه تقوم المؤسسات المختلفة ، وهو المحور الأساسي لوجود وزارات الداخلية ، في جميع دول العالم ، وبسببه تبرم المعاهدات الدولية ، وتقام المؤتمرات ، وتعقد الندوات ، ويلتقي المختصون في مختلف الأماكن ، للتشاور

حوله ، ودراسة أسباب الإخلال فيه ، ويسعى المفكرون والعلماء لتصنيف الكتب فيه ، وتأليف الروايات والمسرحيات ، لغرس المناعة ضد الإجرام والانحراف ، الذي يخل بالأمن ، ويبعث الفساد ، والاضطراب ، وخاصة في حالة الإرهاب المسلح والمنظم ، كما تسعى الدراسات المختلفة لبيان فوائد الأمن بطرق مباشرة ، وبوسائل مقصودة لذاتها أو لغيرها .

ويكفي أن نعرف أن أضخم الإمكانيات اليوم توضع في وزارتي الداخلية والدفاع ، اللتين تناط بهما حماية الأمن في الداخل والخارج .

وتظهر أهمية الأمن والسعي لتوفيره ، إذا عرفنا أن أضداد الأمن وأسباب الخروج عليه أمور فطرية في الإنسان ، وجبلية في الأشخاص ، وترافق البشرية من مهدها إلى لحدها ، كالانحراف والشذوذ ، والطمع والجشع ، وحب العدوان ، وشهوة التوسع والاستعمار ، وكوامن الإجرام ، والاعتداء ، والأثرة والأنانية ، وغير ذلك من الجوانب الخفية في الطبيعة الإنسانية مما تحمل صاحبها ـ فرداً أو جماعة ـ إلى الخروج عن الحد والحق ، فيعتدي على غيره ، ويتمرد على حظه ،

ويتطاول على حقوق الآخرين وأنفسهم وأموالهم ، وقد يتذرع بأوهام باطلة ، ومبادىء فاسدة .

لذلك تمارس الدول حمايتها الكاملة على أرضها ، وتقوم أجهزتها بتوطيد الأمن والطمأنينة ، وتبذل المساعي للتعاون الأمني بين الدول ، وتعلق الآمال الكبيرة في أمن الأمة والوطن ، وتصدر التشريعات لرعاية الأفراد ، وتحقيق الاطمئنان للمجتمع ، ووقاية الناس من الإجرام والانحراف .

والأمن هو الأساس في ازدهار الحضارة ، وتقدم الأمم ، ورقي المجتمع ، وسيادة الرخاء ، وتطور الحياة ، ونشاط العلم ، والأمن يوفر الجو المناسب لكل جهد بشري يحقق الطمأنينة والسعادة ، وإذا ضاع الأمن تجمدت الحياة ، وتوقف النشاط ، وخمد الفكر والعقل ، وبحث الفرد والجماعة عن الأمن للإطمئنان على الروح والحياة ، واستمرار الوجود ، ليسعى كل منهما بعد ذلك للعمل والإنتاج .

رابعاً ـ وسائل الأمن :

ونظراً للأهمية السابقة للأمن فقد تعددت الوسائل لتأمينه وحفظه ، وتنوعت السبل التي تستخدمها الأمم والشعوب

والدول لكفالة الأمن وتوفيره ، وتنقسم هذه الوسائل إلى قسمين رئيسيين :

الأول : وسائل معنوية ، وهي التي تعتمد على التوجيه العام ، والتربية الرشيدة ، والفكر السليم ، والإرشاد الدائم ، والدعوة إلى الخير ، وغرس القيم الأخلاقية الفاضلة ، وإصدار التشريعات والأنظمة التي توضح حقوق الأفراد وواجباتهم ، وتبين لهم كيفية ممارستها وأدائها والوقوف عندها ، ثم تحدد التدابير والعقوبات التي ستنزل بمن يخالفها أو يخرج عليها .

وتهدف هذه الوسائل المعنوية إلى زرع المناعة ضد الإجرام والخوف والاضطراب ، وبيان طرق الوقاية من ذلك ، وتسعى لغرس الأمن في النفس ، والطمأنينة في القلب ، والعدل في التعامل ، وتطلب من المواطنين مشاركة الدولة في هذه الوسائل ، والأهداف ، وتقديم العون لها ، ومن هنا تقوم المؤسسات التربوية ، وأجهزة التعليم والتوجيه والإعلام بدراسة علم النفس ، وتتعمق في علم الإجرام ، والصحة النفسية ، وإصدار التعليمات والأنظمة والشرائع والقوانين ، وخاصة قانون العقوبات ، لصيانة الأمن من مختلف جوانبه ، ويأتي الإيمان والعقيدة في قمة هذه الوسائل

المعنوية لتوفير الأمن الخاص والعام كما سنرى .

الثاني : وسائل مادية : وتتمثل في الأجهزة والدوائر والمؤسسات والوزارات التي تنشئها الدولة لرعاية الأمن ، وتوفيره والحفاظ عليه ، ومراقبة الأنشطة التي تخل به ، وملاحقة الفئات والأفراد الذين يخرجون عليه ، ويأتي في قمة هذه الوسائل الدولة ذاتها التي وجدت أصلاً لهذا الهدف ، ثم وزارة الداخلية للحفاظ على الأمن الداخلي ، ووزارة الدفاع لحماية الوطن وتأمين الأمن له من كل عدوان خارجي ، والأجهزة الأمنية لأداء هذه الوظيفة المقدسة ، ثم وزارة العدل وأجهزة القضاء بجميع أنواعها لتقوم على حراسة العدالة ، ومعاقبة الخارجين على الأمن والنظام ، والوقوف في وجه المعتدين الذين يُرَوِّعون الناس في أنفسهم وأرواحهم وحياتهم ، وأعراضهم ودمائهم ، وأموالهم وأعمالهم .

وفوق كل ذلك يأتي التعاون بين الدول في المجال الأمني ، وعقد المعاهدات والاتفاقات ، وإقامة المنظمات الدولية التي تسهم في رعاية الأمن بين الدول والشعوب ، ومن هنا ظهرت منظمة الأمم المتحدة بشكل عام ، ومجلس الأمن الدولي بشكل خاص .

خامساً ـ الأمن في الشريعة الإسلامية :

اهتمت الشريعة الإسلامية الغراء بالأمن اهتماماً كبيراً ، وأولته عناية عظيمة ، واعتبرته هدفاً لذاته ، وجاءت الدعوة للأمن صراحة في القرآن الكريم في عدة آيات ، وفي مختلف المناسبات ، وبما يغطي جوانب الأمن المختلفة ، ويشمل أنواعه المتعددة في الأمن على النفس والروح ، والأمن على المال والعمل ، والأمن على العرض والنسل والولد ، والأمن على الأرض والبيت والوطن ، والأمن على العقيدة والدين والدعوة ، وأمن الدولة والسلام العالمي .

فمن ذلك أن القرآن الكريم بيَّن أن الأمن كان مطلب أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فكان أول دعائه ، وأهم أهدافه لأطهر أرض ، وأقدس بقعة وضع فيها زوجته وولده الحبيب الأثير ، فتوجه إلى الله تعالى بدعائه : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة : ١٢٦] ، وقال تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] .

واستجاب الله دعاء إبراهيم ، واستقر الأمن في البلد

الحرام الذي أراد الله تعالى أن يكون مثابة ، يثوب إليه جميع الناس ، ويأمنون فيه على أرواحهم وأموالهم ، لأنه صار في ذاته أمناً وطمأنينة وسلاماً ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وبعد أن تحقق هذا الهدف ، أمر الله تعالى بالعبادة فيه والصلاة حوله ، فقال عز وجل في نفس الآية : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، واعتبر القرآن الكريم توفير الأمن وسيلة ضرورية وأساسية للحياة والتعامل والتجارة ، فقال عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾

[القصص : ٥٧]

وهكذا ربط القرآن الكريم الأمن بالرزق ، والخوف بالجوع ، لأن الرزق يمثل الحياة الهانئة والاستقرار والازدهار ، والطمأنينة والرقي والتقدم ، وأن الخوف والجوع يمثلان الاضطراب والقلق ، والفقر والتأخر ، والجمود والوحشية ، والضياع والتشرد ، وهذا أخطر ما يهدد البشرية ، ويَصِم الإنسانية بالخزي والعار ، لذلك قرن القرآن الكريم بين الأمن والرزق في عدة آيات .

ثم امتن الله تعالى على أهل مكة بأن جعل الحرم والبيت

الحرام موضع أمن لهم ولمن نزل معهم ، فقال تعالى : ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران : ٩٧] ، فلا يتعرض أحد لأحد بسوء ، ولو كان قاتل أبيه ، بينما فُقِدَ ذلك الأمن في غير البلد الحرام ، وشاع الخوف والاضطراب في أنحاء الجزيرة العربية ، فقارن القرآن الكريم بين الحالين ، ليظهر فضل الله تعالى على أهل مكة بتوفير نعمة الأمن ، قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت : ٦٧] ، قال ابن زيد : « كانت العرب يغير بعضها على بعض ، ويسبي بعضها بعضاً ، فأمنت قريش من ذلك لمكان الحرم ، وقرأ : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[1] [القصص : ٥٧] » . وقال ابن جُزَيّ : « وكان غيرهم من الناس تُؤخذ أموالهم وأنفسهم »[2] . وقال القاسمي : « وقد كانوا في الجاهلية يُتخطف الناس من حولهم ، وهم آمنون لا يُسْبَون ، وكان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له »[3] .

---

(١) القرطبي ٢٠/٢٠٩ ، الشوكاني ٥/٤٩٨ .

(٢) ابن جزي ، التسهيل ٤/٤٣٣ .

(٣) القاسمي ، محاسن التأويل : ١/٢٤٧ .

وصرح القرآن الكريم أن الأمن من نعم الله الكبرى التي تستحق الشكر الجزيل ، وتوجب العبودية الكاملة لله تعالى ، والاستسلام له ، والانضواء تحت شريعته وعبادته ، فقال تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش : ٣-٤] ، فقد آمنهم الله تعالى في وطنهم ، وآمنهم في أسفارهم ، فكانوا في رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء ، وآمنهم من خوف أصحاب الفيل ، وآمنهم من الغارات والحروب والقتال ، وآمنهم من الجذام والأوبئة والأمراض الفتاكة ، وتحققت لهم نعمة الأمن والاستقرار ، ونعمة الغنى واليسار ، وكان إنعام الله تعالى بدفع الضرر من أصحاب الفيل وغيرهم ، وجلب النفع في الرزق والاطمئنان[1] .

أخرج الإمام أحمد وابن أبي حاتم عن أسماء بنت يزيد قالت : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : لإيلاف قريش

---

(١) ابن جزيء ، التسهيل : ٤/٤٣٣ ، الشوكاني : ٥/٤٩٩ ، الصابوني ، صفوة التفاسير : ٣/٦٠٧ ، سيد قطب ، الظلال : ٦/٦٧٩ .

إيلافهم رحلةَ الشِّتاء والصَّيف » ، ويحكم يا قريش ، اعبدوا ربَّ هذا البيت الذي أطعمكم من جوعٍ ، وآمنكم من خوف »[1] .

وأكد القرآن الكريم أن نعمة الأمن توجب الشكر لله تعالى ، لتبقى دائمة « وبالشكر تدوم النعم » ، وأن الكفر بالله تعالى وبأفضاله يسبب سلب هذه النعمة ، ولفت القرآن الكريم النظر إلى ذلك ، ونبه العقول الغافلة بصورة حية ، فقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] .

والأمن هو الوسيلة الأساسية لحفظ الضروريات الخمس في الإسلام ، وهي التي تتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية ، وإذا فقدت اختل نظام الحياة في الدنيا ، وفات عليهم نعيم الآخرة ، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض أو النسل والمال ، ولا سبيل لحفظها إلا بتوفر الأمن ، فيأخذ حكمها ، ويكون واجباً وضرورياً ، لأن الوصول إلى أسمى المقاصد يعتبر أسمى الوسائل ، وكل ما يتوقف عليه الشيء

---

(١) أحمد ، المسند ٦/٤٠٦ ، الشوكاني ٥/٤٩٨ .

يأخذ حكمه ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وجاءت السنة النبوية بياناً للقرآن الكريم ، وترجمة عملية لأحكامه ، ووحياً بالمعنى من رب العالمين ، وتعرضت بكثرة لموضوع الأمن ، لتحث الناس على العيش في أمان وطمأنينة ، بالالتزام بشرع الله تعالى ، والوقوف عند حدوده ، وتوضيح الحقوق ، ومنع الاعتداء عليها ، فمن ذلك ما أعلنه رسول الله ﷺ في حجة الوداع : « إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا »[1] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمُه ومالُه وعرضُه »[2] ، وقال ايضاً : « المسلم أخو المسلم لا يظلمُه ، ولا يَخْذلُه ، ولا يَحْقِرُه »[3] .

---

(١) هذا الجزء من الخطبة رواه مسلم ١١/ ١٦٧ ، والترمذي ٦/ ٣٧٥ ، وأبو داود ١/ ٤٥٢ .

(٢) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد ٢/ ٢٧٧ ، ٣١١ ، ٣٦٠ ، ومسلم ١٦/ ١٢٠ ، والترمذي ٦/ ٥٤ ، عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٣) هذا جزء من الحديث السابق الذي رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي ، مسلم ١٦/ ١٢٠ ، أحمد ٢/ ٢٧٧ ، الترمذي ٦/ ٥٤ .

وجاء منهج الإسلام واضحاً في تحقيق الأمن ونشره ، ومحاربة القلق والخوف ، وقرر جميع الوسائل المادية والمعنوية لذلك ، فكانت الهجرة إلى المدينة المنورة وإقامة الدولة الإسلامية أهم الوسائل لتوفير الأمن للمسلمين في جميع جوانبه ، ونزل التشريع عامة ، وأحكام الجنايات والحدود والقصاص والتعزير خاصة لهذه الغاية ، وأقيم القضاء ، وارتفعت راية العدل ، وساد الاستقرار حتى كانت الظعينة تمشي من صنعاء إلى العراق لا تخاف إلا الله تعالى والذئب المفترس ، وأقام الإسلام مؤسسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لرعاية الأمن ، وخاطب العقل عند الإنسان ، ليفتح عينه على تحقيق السعادة في ظل العدل والمودة ، وبين له قساوة الحياة في ظل الخوف والقلق .

بل إن الإسلام حرص على تأمين الأمن بتوفير أسبابه ووسائله المعنوية من التربية القويمة ، والأسرة السعيدة ، والعقيدة الصحيحة وفي مقدمتها الإيمان الذي يعتبر أساس الأمن وغذاءه ، وضمانه الأكيد في الاستمرار والتطبيق ، وهو ما خصصناه في هذا البحث .

* * *

القسم الثالث

أثر الإيمان على الأمن

ويتجلى مما سبق أن الإيمان الصحيح هو الذي يملأ النفس بجوانبها المختلفة ، ويشمل كيان الإنسان ووجوده ، ويصل إلى جذور الحياة ، ويتعمق إلى أغوارها ، ويقوى سلطانه على المرء فيمده بيقين لا تزعزعه الجبال ، وهمة تناطح السحاب ، وأمل مضيء يبصر به الحاضر والمستقبل ، وعزم جبار لا يخور ، وقوة دافعة لا تلين ، والإيمان يسري في جنبات المجتمع فيجعله فاضلاً ، ويعلو عليه بمظلة تحميه من كل مكروه .

وينعكس أثر الإيمان على الأمن بصور مختلفة ، نذكر بعضها ، بعد أن نبين الارتباط في القرآن الكريم والحديث الشريف بين الأمن والإيمان .

أولاً ـ ارتباط الأمن بالإيمان :

نقلنا سابقاً كلمة الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى عن معنى الإيمان في الشرع وأنه الذي يحقق الأمن والطمأنينة ، ثم إن الإيمان فطرة الله تعالى في النفس الإنسانية ، وأنه هبة إلهية في الوجود الإنساني ، لذلك ربط القرآن الكريم بين الأمن والإيمان ، وبيَّن العلاقة المصيرية بينهما إيجاباً وسلباً ، في آيات عدة ، نذكر آيتين منها :

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] ، فمن صدق الله في إيمانه ، وأخلص العبادة له ، ولم يخلط عبادة الله وتصديقه إياه بظلم ، وهو الشرك ، فلم يشرك في عبادته لأن الشرك ظلم عظيم ، وطغيان كبير ، وانحراف شديد ، وشر خطير ، ومرض قاتل ، وقلق وضياع ، فمن كان مؤمناً فقد أمن من عقاب الله تعالى ، ونجا من سخط الله ، وأيقن بالسلامة من العذاب في الدنيا والآخرة ، وكان مصيباً سبيل الرشاد ، وسالكاً طريق النجاة[1] ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أُعطِيَ

---

(١) الطبري ٧/ ٢٥٤ ، القاسمي ٦/ ٢٣٨٦ ، ٢٣٩١ .

فشكر ، ومُنِعَ فصبَر ، وظَلَمَ فاستغفر ، وظُلِمَ فغفر » ، وسكت ، فقالوا : يارسول الله ، ما له ؟ قال : « أولئك لهم الأمنُ وهُمْ مُهتَدون »[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٥٥] ، فالله سبحانه وعد المؤمن ـ ومن أوفى بعهده من الله ؟ ـ عند التزام الشرع ، وتوفر الإيمان ، بنتائج عظيمة ، وآثار كبيرة ، منها الأمن والطمأنينة والتمكين .

كما ربط رسول الله ﷺ بين الأمن والإيمان في أحاديث كثيرة ، مرَّ بعضها ، ونكتفي بواحد منها ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن مَنْ أمِنَه النَّاسُ على دماءهم وأموالهم »[2] .

---

(١) رواه ابن مردويه عن عبد الله بن سخبرة ، انظر : ابن كثير ١/ ٥٩٥ .

(٢) هذا الحديث رواه الترمذي ٧/ ٣٧٩ ، والنسائي ٨/ ٩٣ ، وابن ماجه ٢/ ١٢٩١ ، وأحمد ٢/ ٣٧٩ ، وأصله في البخاري .

فالمؤمن الكامل هو الذي يثمر إيمانه بتحقيق الأمن على الآخرين ، فيجعلونه أميناً ، ويصبحون منه في أمن على دمائهم وأموالهم لكمال أمانته وديانته ، وخوفه من الله ، ورقابة الله له ، فإن لم يُراع حكم الله في ذمام المسلمين والكف عنهم لم يكمل إيمانه ، وهذا تنبيه على تصحيح اشتقاق الأمن والإيمان ، فمن زعم أنه مؤمن ، فينبغي أن يطالب نفسه بما هو مشتق منه ، فإن لم يوجد فيه صار كمن زعم أنه كريم ، ولا كرم له[1] ، وأكد الرسول ﷺ هذا المعنى بأن إيمان الشخص يثمر على غيره ، ليشاركهم الآمال والآلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : « المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألمُ المؤمنُ لأهل الإيمان ، كما يألمُ الجسدُ لما في الرأس »[2] .

---

(١) المباركفوري تحفة الأحوذي ٧/ ٣٧٩ ، المناوي ، فيض القدير ٦/ ٢٧٠ .

(٢) رواه الإمام أحمد عن سهل بن سعد ٥/ ٣٤٠ ، وهو حديث حسن ، ورجاله رجال الصحيح ، فيض القدير للمناوي ٦/ ٢٥٥ .

ثانياً ـ أثر الإيمان على الأمن النفسي :

إن أمن المجتمع والأمة ينبع من أمن الفرد ، وإن أمن الفرد يستقر في نفسه وقلبه ، وهنا يظهر أثر الإيمان على الأفراد ، بتوفير الطمأنينة القلبية ، والسعادة النفسية ، والهدوء العصبي ، والراحة الداخلية ، فيطرد الإيمان أمراض النفس كالهم والحزن ، والقلق واليأس ، والخوف والقنوط ، والتردد والحيرة ، ليأنس بالإيمان يملأ كيانه ووجوده : بالشكر على السراء ، والصبر على الضراء ، والأمن بجانب الله وقربه ، والسكينة في التصرفات ، والثقة بما عند الله ، فيجابه شؤون الحياة بصدر رحب ، ونفس رضية ، مؤمناً بيقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وهنا تبلغ النفس أعلى درجات الاطمئنان ، لتكون نفساً مطمئنة راضية مرضية ، وهذا محل التعجب من المؤمن ، كما ورد في الحديث الشريف : « عَجَباً لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمرَهُ كُلَّه خَيْرٌ ، وليس ذلك لأحدٍ إلاَّ للمؤمنِ ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ، فكان خيراً له ، وإن أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ، فكان خيراً له »[1] .

---

(١) هذا الحديث رواه مسلم ١٨/ ١٢٥ ، وأحمد ٤/ ٣٣٢ عن صهيب رضي الله عنه .

ثالثاً ـ أثر الإيمان على الأمن الاجتماعي :

يشكل الإيمان منطلقاً أساسياً لبيان الحقوق والواجبات لأفراد المجتمع ، ويرشد الناس إلى الخير في الحال ، والصلاح في المآل ، وينظم لكل مواطن حقه ، ويطالبه بواجبه ، ويساعد الناس على تنظيم غرائزهم وشهواتهم في الطريق السوي ، فيبعد عنهم نوازع الشر والانحراف والهوى ، ويغلق أمامهم سبيل الإجرام والعدوان والبغي ، ويكبح جماحهم عن السير في الطريق المشبوه ، كما يحقق الإيمان والتوازن السليم بين الجسم ومتطلباته والروح وتطلعاتها ، والعقل وطموحاته ، ثم يرافق الإيمان سلوك الأفراد لينشىء عندهم مناعة عن الانزلاق في مهاوي الرذيلة عندما تتوفر أسبابها ، أو تتحرك دواعيها ، أو تحيط بالشخص الظروف التي تغريه بها ، ومن هنا يصبح كل فرد في المجتمع رجل أمن يحافظ على أمن المجتمع والأمة والأفراد ، ويحرص على بقاء الأمن ، ويقف في وجه من يخلُّ به ، أو يثير الاضطراب حوله ، وكلما استقر الإيمان في القلب شاع الأمن في المجتمع ، ودعا صاحبه أن يكون رقيباً على نفسه

أولاً ، وحارساً على أمن غيره ثانياً ، لأن الرسول ﷺ قال : « لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه »[1] ، ولأن المؤمن يخشى الله تعالى ويرعى أحكامه ، ويقصد مرضاته ، ويلتزم بشرعه سراً وجهراً ، قولاً وفعلاً ، نظرياً وعملياً .

رابعاً ـ الإيمان غذاء للأمن :

لقد قرر كثير من العلماء أن الإنسان مفطور على الخير والشر ، وأن نوازع الشر موجودة فيه ، وأن الإنسان خلق ضعيفاً ، وأن الإجرام والانحراف يكشف عن الضعف البشري ، ويزيل الحجب عن أغوار الإنسان ، ويرفع الشعار عن أسراره الداخلية ، ويفتح النوافذ عن كوامنه الذاتية ، وقد يختل الأمن ، ويضطرب النظام ، ويشيع الخوف ، وهنا يأتي الإيمان مرة أخرى كدواء ناجع ، وبلسم شاف ، فيأخذ بيد المجرم إلى شاطىء الأمان ، فيسرع إلى الاعتراف بذنبه ، والإقرار بجريرته ، ويبادر إلى تطهير نفسه مما لحق بها في الدنيا قبل أن يلقى وجه الله تعالى ، ويتعرض لعقابه الشديد ، وقد ضرب ماعز رضي الله عنه أروع الأمثلة في هذا

---

(١) رواه البخاري ١/ ١٤ ، ومسلم ١/ ١٦ ، عن أنس رضي الله عنه .

الخصوص ، وكذلك فعلت الغامدية[1] ، عندما أقرا بالفاحشة ، وطلبا من رسول الله ﷺ التطهير ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ثم يلعب الإيمان وظيفة أخرى ، ويتسامى بالمؤمن درجة أعلى عند فتح باب التوبة ، دون أن يتعارض ذلك مع تطبيق العقوبة ، فيندم الشخص على ما جنت يداه ، ويعزم على عدم العودة ، ويقلع عن الذنب ، فيعود الأمن مرة ثانية إلى الحياة ، وينتج الإيمان الشفاء النافع للأمن .

خامساً ـ أثر الإيمان في تطبيق الأحكام وحفظ النظام :

إن كل نظام في الدنيا ، وكل تشريع في العالم ، يحتاج لى رادع لتطبيقه ، وسلطة تضمن تنفيذه ، وتلاحق من يخرج ليه ، وتعاقب المخالف ، ومن هنا وجد قانون العقوبات ، جهاز الشرطة والأمن والقضاء ، ولكن جميع القوانين المؤسسات والأجهزة تبقى عاجزة عن ملاحقة كل فرد ينه ، والقانون أو الشرطي لا يطول كل إنسان ، وهنا يظهر ر الإيمان الذي يحتل المكانة العليا والسلطان الواسع في

) انظر قصة ماعز والغامدية في نيل الأوطار ٧/ ١٠٠ وما بعدها .

كفالة النظام الاجتماعي ، والحفاظ على مهابته ، لأن المؤمن يشعر بمراقبة الله تعالى الذي يعلم السر وما تخفي الصدور ، وهذا كفيل بحفظ النظام وتطبيق الأحكام ، وصيانة الحقوق .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : « فالذي نريد أن نثبته في هذه الحلقة أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافىء قوة التدين أو تدانيها في كفالة احترام القانون ، وضمان تماسك المجتمع ، واستقرار نظامه ، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه »[1] .

ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي : « والشخص الذي وقر في سُوَيْداء قلبه وأعماق ضميره الإيمان القوي الصحيح بالآخرة يكون حاله كرجل يصحبه في كل حال من الأحوال رقيبٌ يمنعه من كل إرادة تجره إلى السوء ، يردعه عن اتخاذ كل خطوة نحو الإثم ، يؤنبه على كل عمل ينكره الإسلام . . إذ يستقر في نفس الإنسان حسيب صعب المراس ، لا يجرؤ الإنسان ـ خشية منه ـ أن يتهرب من فرائض الله تعالى في الخلوة أو في الغابة ، أو في الظلام ، أو في البادية ، ولا يقدر

---

(١) دراز ، الدين ص١٠١ .

على اقتراف ما حرَّمه الله ، وإذا اقترف ـ على سبيل الافتراض ـ يندم على ذلك ، ويتوب إلى الله » .

ثم يقول : « ولا نجد سلاحاً أقوى من ذلك للإصلاح الخلقي وتنشئة الإنسان على السلوك المستقيم ، فالقيم الثابتة التي يعطيها شرع الله الذي هو أسمى من كل شيء لا يستطيع الإنسان أن يعض عليها بالنواجذ ، ولا أن ينصرف عنها بحال من الأحوال ، إلا بفضل هذه العقيدة ، أي الإيمان بالآخرة »[1] .

فالإيمان يمنح في الأفراد والمجتمع قوة إلزامية بالالتزام بأحكام الشرع ، وحفظ الحقوق ، والابتعاد عن الانحراف ، وبذلك يتحقق الأمن بأوسع معانيه ، ويسود الاطمئنان في المجتمع ، ويعم الخير والفضيلة ، وهذا ما تم عملياً في الدولة الإسلامية التي يظللها الإيمان في القديم والحديث ، فتنعم بنعمة الإيمان والأمن معاً ، وهذا ما ينشده المؤمنون في العودة إلى حظيرة الإيمان ، وتطبيق شرع الله تعالى ، لإعادة

---

(١) المودودي ، مجلة حضارة الإسلام ص ٢١ ، العدد ٥ـ٦ لعام ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

الأمن والأمان للناس في ربوع المعمورة ، وللقضاء على الإجرام والتعدي على الأموال والأعراض والأنفس والقيم والأخلاق .

سادساً ـ أثر الإيمان على الأمن العالمي :

ولا يقتصر أثر الإيمان على الأفراد والأمة والمجتمع داخل الدولة ، وإنما يسري أثره ، ويحقق مفعوله على نطاق الأمم والمجتمع ، وعند تعاون الدول والحكومات ، ويشمل الكيان الإنساني كله ، ويغطي بظلاله البشرية أجمع ، وهاك التفصيل .

فإن ساد الإيمان في العالم أصبح المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً ، وأصبح المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتعاونون على الخير والبر ، ويتوادُّون ويتعاطفون ، ويتكاتفون ويتناصرون على الحق ، ومنع الظلم ، واجتثاث العدوان ، وتطهير النفوس ، ويصبحون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، وعندئذ تتحقق العبودية الكاملة لله ،

وتتمثل الخلافة السامية للبشر في هذا الكون ، وهو المقصود من وظيفة الرسول ﷺ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وإذا بقي الصراع في العالم ، وتعددت الديانات والأنظمة والقوانين والحكومات كما هو الواقع ، « ولا يزالون مختلفين » ، ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود : ١١٢] بقي الإيمان في مكانه المرموق يوجه أتباعه إلى الحق والعدل نظرياً وعملياً ، استجابة لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال : ٦١] ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٩٠] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وإن حصل نزاع أو خلاف كان الإيمان محركاً للإصلاح ، وداعياً إلى نبذ الشقاق ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات : ٩] .

وهنا تمتد الأيدي المؤمنة ، بدافع من إيمانها ، إلى تأمين الأمن العالمي ، والحفاظ عليه ، ورعاية جوانبه ، وتعقد الاتفاقات الدولية ، والمعاهدات الأمنية ، كما تشارك الدولة المؤمنة في المؤسسات العالمية ، والمنظمات الدولية التي ترعى الحق والعدل ، وتقيم العدالة ، وتصون حقوق الإنسان ، ومصالح الأمم والشعوب والدول ، وقد حضر رسول الله ﷺ في الجاهلية حلف الفضول لحماية المظلومين ، والدفاع عن الضعاف ، والأخذ على يد الظلمة ، ورد الحقوق إلى أصحابها ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدْعان حِلفاً ، ما أُحبُّ أنَّ لي به حُمر النَّعَم (أي لا أحبُّ نقضه وإن دُفع لي حُمْر النَّعم في مقابلة ذلك ، وهو أغلى الأموال عندهم) ولو أُدْعى به في الإسلام لأجبْتُ »[1] ، وفي ذلك يتحقق الأمن العالمي ، وتتكاتف الدول على منع العدوان ، إلى حد ما ،

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١/ ١٣٤ ، وروى بعضه الإمام أحمد ١/ ١٩٠ ، ١٩٣ ، عن عبد الرحمن بن عوف .

وتكبح جماح الإرهاب الدولي ، وتقف إلى جانب الشعوب المظلومة ، والحقوق المسلوبة ، وتتعاون على قطع دابر الفساد والإجرام ، وتطهِّر المجتمع من مختلف أنواع الانحرافات السلوكية ، وتحميه من التخريب ، وتحافظ على المؤسسات والهيئات والمرافق العامة ، وتحميها من كل سوء لتدعيم الأمن والاستقرار .

الخاتمة

تبين لنا من الدراسة السابقة عظمة الإيمان ، وأنه الترياق الشافي الذي يسري في عروق الأفراد والمجتمع ، وأن الأمن محور أساسي في حياة الإنسان فرداً أو جماعة .

كما ظهر لنا أن الإيمان هو أول الأهداف السامية ، والغايات النبيلة التي أنزلت من أجلها الكتب ، وأرسل لها الرسل ، وأن الإيمان تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان والجوارح ، وأن المقصد الرئيسي للإيمان هو حفظ الضروريات الإنسانية التي تتوقف عليها الحياة ، وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، وتأمين الرعاية لها ، ومنع الاعتداء عليها ، والاحتياط من الإخلال بها ، وبذلك يتحقق الأمن الذي تنشده البشرية في كل زمان ومكان ، ويسود فيه العدل والسلام اللذان تصبو إليهما الإنسانية ، وتتطلع إليهما في القديم والحديث ، في حالة السلم والحرب ، للأفراد والجماعات ، وتنعم البشرية بفضل الله

تعالى ونعمته التي بينها القرآن الكريم ، ونختم هذا البحث ببعض منها :

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠ـ٣٢] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف : ١٠ـ١٣] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

مراجع البحث

١ـ أحمد بن حنبل ، المسند ، تصوير المكتب الإسلامي ، بيروت ١٣٩٨ هـ/ ١٩٨٧ م .

٢ـ الأصفهاني ، الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م .

٣ـ البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، نشر دار القلم ، دمشق ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .

٤ـ الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة ، جامع الترمذي ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م .

٥ـ ابن جزيء ، محمد ٧٤١ هـ ، التسهيل لعلوم التنزيل ، نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

٦ـ أبو داود ، سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م .

٧ـ دراز ، الدكتور محمد عبد الله ، الدين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م .

٨ـ الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠ م .

٩ـ الشوكاني ، محمد بن علي ، فتح القدير ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م .

المحتوى

مقدمة ٥
القسم الأول : في الإيمان ٨
١ـ تعريف الإيمان ٩
٢ـ حقيقة الإيمان ١٣
٣ـ الإيمان والعمل ١٦
٤ـ أهمية الإيمان ٢٨
القسم الثاني : في الأمن ٣٢
١ـ تعريف الأمن لغة ٣٢
٢ـ تعريف الأمن اصطلاحاً ٣٣
٣ـ أهمية الأمن والحاجة إليه ٣٥
٤ـ وسائل الأمن ٣٧
٥ـ الأمن في الشريعة ٤٠
القسم الثالث : أثر الإيمان على الأمن ٤٧
١ـ ارتباط الأمن بالإيمان ٤٨

٢ـ أثر الإيمان على الأمن النفسي ٥١
٣ـ أثر الإيمان على الأمن الاجتماعي ٥٢
٤ـ الإيمان غذاء للأمن ٥٣
٥ـ أثر الإيمان في الأحكام والنظام ٥٤
٦ـ أثر الإيمان على الأمن العالمي ٥٧
الخاتمة ٦١
مراجع البحث ٦٣
المحتوى ٦٧

* * *